# إشكالية المقروئية عند الأطفال في الجزائر

**الدكتورة فريدة أولمو**
**أستاذة باحثة في الفلسفة والإعلام**
**قسم الفلسفة جامعة الجزائر2**

**الملخص :**

إن الكتابة للأطفال تتطلب موهبة عالية ، واحترافية جمالية و فنية راقية لأن هذه الكتابة تتمثل في أنّها فن صعبٌ،يحتاج إلى التنبه لأكثر من زاوية تخص عالم الطفل ؛وعلينا التذكير بأن ثمة مشكلة، يجب الاعتراف بها؛ هي أن قصائد الأطفال أو قصصهم، لم تعد تجد إقبالاً لدى الأطفال أنفسهم، بسبب كثرة وسائل اللهو والمتعة المرئية المتحرّكة، التي تصرفهم عن القراءة، بصورة عامة لذالك يفترض في هذا المقال أن ننطلق من مقولة :" أما الضجيج الذي نحدثه حول أدب الأطفال... هو ضجيجٌ يطلقه الكبار ليسمعه كبارٌ آخرون. يريدون إنشاء. . أدبٍ للأطفال، ويغفلون عن أن الطفل لا يقرأ ما يكتبون، ولا تهمّه نواياهم."..فما الحل لكل هذا لاسيما وأن دراستنا تتناول أدب الطفل في الجزائر؟ والتي من خلالها نتساءل معا عن مقروئية كتاب الطفل في الجزائر كيف هي ؟

ما مزايا وأسس الكتابة للطفل الجزائري في زمن العولمة والانترنت و الفايسبوك ؟

هل ثمة منطق خاص للكتابة الطفولية في الجزائر ؟ وإن وجدت ما هي الظروف المحيطة بإنتاج هذا الكتاب وإيصاله لهذا الطفل في دولة حدودها الجغرافية أكبر من مركزية القرارات التعسفية في حق الطفل وحق الأدب ؟

**Abstract**

Writing problems for children is a difficult art, and there is a problem, it must be recognized. Is that the children's poems are no longer very popular among the children themselves, because of the plethora of playful entertainment and entertainment that generally distract them from reading. "The noise we make about children's literature ... is the noise that adults make for other adults to hear. Children's literature, and ignore that the child does not read what they write, and do not concern their intentions .., for this and that We wonder together about the reading of the book of the child in Algeria, how is it?

What are the advantages and basics of writing for the Algerian child in the era of globalization, the Internet and Facebook? Is there a special logic for childish writing in Algeria? If any, what are the circumstances surrounding the production of this book and its connection to this child in the State of its geographical boundaries, rather than the arbitrary decisions of the child and the right to literat

أدبُ الأطفال هو الوسيلة المثلى للوصول إلى عقول الصغار، بغية تنمية القدرات، وصقل التفكير والتعبير، وتحسين الأداء، وتنمية ملكة الإبداع، والإحساس بالجمال. والارتقاء بالمشاعر،إذ لابد لأدب الأطفال من أن

يتوافق مع قدرات الأطفال ومرحلة نموهم العقلي والنفسي والاجتماعي ،ولابد من أن يكسب مضمونه في أسلوب خاص[i]. لاسيما وأن" أدب الأطفال، كنوعٍ فني، لا يزال جديداً .لم يكتسب تقاليد عامّةً بعدُ. . وقد هيّأ هذا التفكير للكثير من الاجتهادات، والأحكام المتعسّفة. أن تطرح في الساحة، وأن تلاقي بعض القبول، لا لسببٍ إلاّ لأنها تبدو معقولةً، مع أن كون أيّ أمرٍ معقولاً، لا يعني أنه صحيحٌ علمياً. إذ لا بدّ أن يخضع للتحليل العلمي، كي يتقرّر فيما إذا كان صحيحاً أو خاطئاً " .[ii]

لذا فإن الحديث عن هذا الأدب يتطلب تعريفه(تعريف أدب الطفل أولا)؛ والوقوف على بنيته الأساسية التي اختلف في ضبطها الأدباء والمنظرون وعلماء الجمال إذ هناك من يعرفه ":أدب الأطفال نوع أدبي متجدد في الأدب الحديث يتوجه لمرحلة عمرية متدرجة من عمر الإنسان ،يكتبه الكبار للصغار في الفنون والنثر والشعرية المتنوعة في لغة تتناسب وجمهور الأطفال ومداركهم وفقا لمعايير كتابة النص الأدبي للطفل ،وليس عندهم ومن أهم روافد أدب الطفولة في أية لغة الحكايات الشفهية والشعبية ،ويهدف النص الأدبي في سائر قوالبه إلى الوظائف الأخلاقية والتربوية والفنية والجمالية"[iii]. ويصفه توفيق الحكيم عندما كتب بعض حكايات الأطفال عام 1977، قائلا: " إن البساطة أصعب من التعمّق، وإنه لمن السهل أن أكتب، وأتكلّم كلاماً عميقاً، ولكن من الصعب أن أنتقي، وأتخيّر الأسلوب السهل الذي يُشعر السامع بأني جليسٌ معه، ولست معلماً، وهذه هي مشكلتي مع الأطفال "[iv].

ولما كان من المتعارف عليه، أن عناصر الأدب أربعة[v]:هي : **العاطفة، والمعنى، والخيال، واللغة،** فإننا في أدب الأطفال –كما في الأدب عامةً – نستلهم من مجموع هذه العناصر جمالَ الصورة، وإيحاء اللون، وتعبيرَ الصوت، وعذوبةَ اللحن والحركة والإيقاع والإثارة، ونحاول أن نجعل الطفل يحسّ ويشعر بأن الحياة والطبيعة تتطيّب وتتكحّل، وهذا ما اصطلح عليه (**التجسيد الفني**) الذي يُعَدّ عمليةً لازمةً في التوجّه للصغار، لأنه يهيّئ لهم أن يسمعوا المعنويات، من دون الاستعانة بالعيون والآذان، حتى تبدو لهم كأنها محسوسة.

حيث يقول "سليمان العيسى " : " إنني لا أكتب للصغارِ لأسلّيهم. إنني أنقل إليهم تجربتي القومية والفنية، وذلك بغية تجاوز الإحباطات المتلاحقةِ التي تحلُّ بنا، والتي ليس لها منفذٌ إلاّ من خلال الأطفال. أملِ المستقبلِ لتحقيق الحلم العربي. بعد أن فقد الشعراء الثقة في الكبار الذين ضاعت في زمنهم أجزاء كبيرةٌ من الوطن العربي، وساد التشويه والفساد جوانب متعدّدة من حياتنا العامة. بفعل السياسات الانعزالية المنفردة، "[vi]

**نتساءل معا عن مقروئية كتاب الطفل في الجزائر كيف هي ؟** ،ما مزايا وأسس الكتابة للطفل الجزائري في زمن العولمة والانترنت و الفايسبوك ؟

هل ثمة منطق خاص للكتابة الطفولية في الجزائر ؟ وإن وجدت ماهي الظروف المحيطة بإنتاج هذا الكتاب وإيصاله

لهذا الطفل في دولة حدودها الجغرافية أكبر من مركزية القرارات التعسفية في حق الطفل وحق الأدب ؟

إن من بين مشكلات **الكتابة للأطفال** أنها فن صعبٌ، وثمة مشكلة، يجب الاعتراف بها. هي أن قصائد الأطفال، لم تعد تجد إقبالاً لدى الأطفال أنفسهم، بسبب كثرة وسائل اللهو والمتعة المرئية المتحرّكة، التي تصرفهم عن القراءة، بصورة عامة " أما الضجيج الذي نحدثه حول أدب الأطفال... هو ضجيجٌ يطلقه الكبار ليسمعه كبارٌ آخرون. يريدون إنشاء. . أدبٍ للأطفال، ويغفلون عن أن الطفل لا يقرأ ما يكتبون، ولا تهمّه نواياهم الحسنة. إن تصحيح مسار – شعر – الأطفال يعني أن نجعل الطفل يقرأ القصائد – التي نكتبها له ويستفيد منها. أما أن نكتب له وهو لاهٍ عنّا، فتلك هي مشكلة أدب الأطفال.. عندنا.[vii]

من بين المشكلات أيضا **القراءة** والتي يقصد بها عملية إيجاد الصلة بين لغة الكلام والرموز المكتوبة وهي عملية تفكير معقدة تقوم على تفسير الرموز المكتوبة وربطها بالمعاني ثم تفسير تلك المعاني, وتتألف لغة الكلام من المعاني والألفاظ وهذا ما يجعل للقراءة ثلاثة عناصر أساسية وهي: المعنى الذهني الذي يتشكل لدى الطفل، اللفظ الذي يؤديه ، والرمز المكتوب.[viii]

ولهذا تقوم القراءة على عمليتين منفصلتين: العملية الأولى هي الشكل الاستيطيقي (الجمالي) والمقصود بها التنبيه والاستجابات الفسيولوجية لما هو مكتوب. والعملية الثانية: عملية عقلية يتم خلالها تفسير المعنى وتشمل هذه العملية التفكير و الاستنتاج، ولهذا فالقراءة تشمل كلا من التعرف على الكلمات وما تدل عليه, وتشمل بالإضافة إلى ذلك التفكير النقدي الخلاق ولذا ينبغي أن يربط القارئ ما يقرأه بخبرته السابقة ، ويجب أن يفسر المادة المقروءة ويقومها مستخدما في ذلك التفكير والخيال ويمزج الأفكار الجديدة ويقارنها بما قد تعلمه من قبل.[ix]

وانطلاقا من هذه المفاهيم فإن القراءة " لها تأثيرات واسعة وعميقة ومتنوعة على الطفل, فهي توسع دائرة خبرة الأطفال وتنميهم, وتنشط قواهم الفكرية, وتهذب أذواقهم، وتشبع فيهم حب الاستطلاع النافع لمعرفة أنفسهم ومعرفة غيرهم ومعرفة عالم الطبيعة وما يحدث به وما يوجد في أزمنة وأمكنة بعيدة"[x]

لكن هذه القراءة لها شروط ومحددات هل تتوفر في الطفل الجزائري؟ ، إن كانت موجودة ما هي؟ وكيف تمارس ؟،وإن كانت غائبة فما هي الحلول الممكنة ؟

المقصود بالقراءة القراءة التفاعلية كما وصفها الأستاذ العيد جلولي في مقاله :"القراءة التفاعلية للأطفال"أن يتم التواصل الوجداني بين الطفل القارئ وبين الكاتب.[xi] وهذه جملة من الشروط يجب توفرها في عصرنا الحالي عصر التواصل السريع والآني

1- أن يتجاوز الآلية التقليدية في تقديم النص الأدبي ومراعاة التغيرات الثقافية والعلمية المحلية والعالمية .

2- أن يتحرر الأديب من الصورة النمطية التقليدية لعلاقة عناصر العملية الإبداعية ببعضها فجمهور الأطفال غير متجانس.

3- أن يعترف ويقر بدور المتلقي في بناء النص وقدرته على الإسهام فيه حيث أن نجاح النص يقاس بمقدار اهتمام المتلقي وفهمه للرسالة المشفرة التي يحملها في طياته .

4- أن يحرص على تقديم نص حيوي ، تتحقق فيه روح التفاعل الحقيقية لتنطبق عليه صفة التفاعلية[xii]كي لا يصاب المتلقي بالأرق والملل والرغبة في التخلي عن فعل القراءة، لذلك لابد أن نتساءل لمن نكتب ؟(للطفل) أي طفل ؟

أعتقد أن الكتابة للطفل الجزائري تتطلب تضافر جهود مختصين سيكولوجيين واجتماعيين،وتربويين ومربيين، ومثقفين في مجلات عدة لأن:

* جمهور الأطفال في الجزائر جمهور **غير متجانس** من الضروري الوقوف على خصائصها المتغايرة بين فئة عمرية وأخرى وبين منطقة جغرافية وغيرها، فطفل العاصمة يختلف نمط تفكيره كليا عن طفل الواحات .وطفل تمنراست و غرداية و تندوف يختلف عن طفل القبائل بتزي وزو و بجاية ،ووهران و بومرداس من حيث النشأة الاجتماعية وطريقة اللعب وطريقة القراءة وطريقة تناول الأحداث وحتى في التفاعل مع الواقع الديني والسياسي والثقافي ،هناك من أطفال الجزائر من لا يعرف السينما ولا المسرح حتى؟،وهناك من لا يعرف الكمبيوتر ولا تتوفر لديه المياه و لا الكهرباء إلا ما كان ربانيا من الإنارة ومياه الآبار؟

ومن البديهي أن الأطفال في عمر معين، يتفاوتون في مستوياتهم العلمية واللغوية وأحيانا في الأسرة الواحدة نجد الأصغر سنا يفوق أخاه الأكبر ذكاء وتركيزا و....

*أدب الأطفال في الجزائر يجب أن يكون على وعي كامل بالاختلافات والتغيرات في بلد يعتبر ملتقى واسع للتعدد الثقافات المحلية واختلافها ،فالجزائر بلد قارة مساحة وثقافة وتقاليد.

*مراعاة مراحل النمو عند الطفل والتأثيرات النفسية الناتجة عنها وكما لا يخفى علينا فموقف الأطفال من الأعمال الفنية و الأدبية مختلف باختلاف الاتجاهات الأربعة التي حددها علماء النفس والمتمثلة في[xiii]: الاتجاه الترابطي ،الفسيولوجي،الاندماجي ،الموضوعي.

*مراعاة مراحل النمو اللغوي عند الأطفال فاللغة التي يكتب بها يجب أن تتفق بدورها مع درجة نمو الأطفال اللغوي ،وإن كانت اللغة نوع من أنواع التعبير فالغناء والرقص والموسيقى والرسم كلها وسائط وأنواع من أنواع التعبير يجب التفطن لها في التنشئة الثقافية لأدب الطفل.ويذهب البعض إلى:" أن كاتب الأطفال يحسن أن يكون ممن مارسوا مهنة التدريس للأطفال ،وعاشوا معهم ،وعرفوا لغتهم ،حيث أن المعرفة النظرية بأصول التربية وعلم

نفس الأطفال،لا تكفي إذا لم تصاحبها خبرات عملية تطبيقية"[xiv].فإذا كان الأدب إمتاعا ،فإنه يجب أن "يعمل على نمو شخصية الطفل بجميع أبعادها ويساعد في تطوير لغته وإثارة قابليته للقراءة"[xv]، ولذلك فمن أهداف الأدب الذي نسعى لتحديد مفهومه تنمية الحس الفني لديه (الطفل الجزائري)، من خلال التشويق والترغيب في فعل التواصل والتفاعل الذي يجده الطفل حال القراءة وتجعله يحب القراءة والمطالعة الخاصة.كما يساهم في التقويم اللساني والتنمية اللغوية ،من خلال تثبيت القواعد الصوتية والنحوية والصرفية والتركيبية .

*التلاعب اللفظي وعامل التشويق ،وكتابة الفكرة الواحدة بأساليب مختلف وفق مستوى من سيقرؤونها ،والابتعاد عن أسلوب الوعظ والإرشاد والنصح المباشر.

و"إن رحلة الشاعر أو الأديب الكاتب في الأعماق، من شأنها أن تعمل على نقل الطفل إلى عالم أثير، يمتزج فيه الديني المقدّس، بالتاريخي الحضاري، مما يولّد حالات من الحلم والعبق السحري، يساعد على ذلك تمكّنُ الشاعر من فنّه الشعري، و تماهيه في موضوعه الوطني والقومي، الذي ينمّ عن مشاعره العاطفية المرهفة، وألفته الحميمة للمكان والزمان ألفة لا تقلّ توقاً وشوقاً عن توق الصوفي وشوقه، من دون أن يستغرقه ذلك الدخولُ في البعد الديني الصرف"[xvi]. إذ اختزل الأحداث ووقف على الناضر منها، وكثّف الرموز، وأكثر من الإشارات ذات الدلالات الموحية، والمعبّرة عن الحقّ في الأرض، إضافة إلى النوازع الإنسانية في بناء الأرض، وعمارة الكون، وهو الوجه الإيجابي للحضارة العربية، التي تقف في مواجهة الوجوهُ السلبية ليهود التاريخ، وصهاينة العصر، الذين يهدمون العمران، ويخربون القيم الإنسانية. وقد كان الشاعر حاضر الرؤية، متفتّح الوعي. إذ وظّف جميع الأحداث التاريخية. القديمة والمعاصرة. لصالح القضية الفلسطينية، فشكّلت عالماً نفسياً قائماً على الرموز والإشارات والتنبيهات، كرمزه لليهود[xvii]

يُحكى يوماً فحّت أفعى
نفثتُ سمّاً ومضت تسعى

كما أن المسرح العرائسي يمكن تزويد الطفل بمختلف المعارف الأخلاقية والثقافية ،وترسيخها في نفسه ،يقول مارك توين عن ذلك "...إنه أقوى معلم للأخلاق وأقوى دافع للسلوك الطيب ،أسندت إليه عبقرية الإنسان ،لأن دروسه لا تلقن الكتب بطريقة مرهفة ،أو في المنزل بطريقة مملة ،بل بالحركة المنظورة التي تبعث الحماس ،وتصل مباشرة إلى قلوب الأطفال"[xviii] .فيعد الطفل إلى الحياة دون قهر أو إلزام ،بل بمساعدة منه وبطريقة غير مباشرة يستقبل بإرادة منه ،مجموع هذه الأفكار والخبرات التي تنبهها إليه عرائس المسرح.

وتحتل القصة المروية منها والمقروءة المكانة الأولى في أدب الأطفال،وهي عبارة عن إبداع مقدم للطفل ،ومن خلال محموله(جواله) يشكل رسالة تحاول توجيه الطفل إلى غايات وأهداف معينة لأن" الطفل بحكم بنائه النفسي

الغض أميل إلى أن يتأثر بالجانب الإغرائي في الرسالة ،والجانب الاغرائي يتضمن الإثابة والعقاب ،أي تحقيق متعة أو معاناة ،وهذا أحد جوانب البعد الجمالي فيها"[xix].

وتعد سنوات السبعينات بمثابة البدايات الأولى لظهور قصة الطفل المكتوبة وساعد على ذلك ظهور الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،واعتمادها في هذه المرحلة على النتاج العربي ،أو ترجمة بعض القصص الغربية لتبدأ مرحلة جديدة بداية من الثمانينات ولتظهر أولى القصص المكتوبة للأطفال [xx].

وما كان موجودا من قصص كان يمثل مرحلة تمهيدية لنشأة هذا النوع الأدبي على حد وصف "عبد الملك مرتاض"،كمحاولات مُحَمَّد السعيد الزاهري وما كتبه مُحَمَّد العابد الجيلالي وأحمد رضا حوحو ،وأبو القاسم سعد الله ،ومُحَمَّد صالح رضوان وغيرهم[xxi].

وبعد الانفتاح السياسي والاجتماعي والثقافي للجزائر المستقلة اهتمت الدولة الجزائرية بشؤون الطفل ،وظهرت دور نشر كثيرة (**غير متخصصة**)،لذا فالمتصفح لقصص الأطفال في الجزائر يجدها متداخلة في موضوعاتها،مما يؤكد أن هذا الفن حديث النشأة في الجزائر

فمعظم القصص المليئة بالأخطاء اللغوية والتضاربات الفكرية ،لا تخضع لمراقبة ،ولا للجان قراءة متخصصة ،ولا المعايير العالمية الجمالية والفنية في مجال تناسق الألوان وإسقاطاتها الداخلية على نفسية الطفل إلا نادرا.

كما أن نوعية الورق مؤشر آخر على تأخر هذا الفن من خلال تعطيل فعل القراءة ،ونفور حاسة البصر منه من شدة لمعانه ،وألوانه القاتمة المستخدمة التي لا تخدش حس الطفل إلا نفورا من القصة وهذا طبعا قبل سنة 2000 ،فبعد التعددية السياسية ودخول عهد الرئيس بوتفليقة بد أ ظهور الطابعات العصرية وتجدد الاهتمام بالطفل إلا أن المشكل بداية من هذه المرحلة هو **غلاء الكتاب أو القصة والمطبوع بشكل عام**.

وعليه وكما يقول فرانسيس هواري يجب أن يواكب كتاب الطفل عصر العولمة والإعلام الآلي " وأن يملك القدرة على تكوين الأفكار الجديدة وتكوين المعرفة[xxii]".

وكما نعلم جميعا شهدت نهايات القرن في العقدين الأخيرين تفجيرا هائلا من المعلومات ،وسرعة فائقة فيها مقترنة بثورة مماثلة في الاتصالات ،وقد أصبح الكتاب الالكتروني حقيقة واقعة له تأثير كبير على الثقافة وثقافة الطفل الجزائري الذي رغم الظروف المختلفة لأطفال الجزائر شمالا وجنوبا شرقا وغربا.

وقد اهتم أحد الباحثين"مبارك ربيع " بنوع جديد من أدب الطفل يتماشى ومتطلبات العصر و–هو الأدب الذي لابد من توجيهه للطفل الجزائري حسب اعتقادي_ يسمى هذا الأدب بأدب الخيال العلمي ،حيث قام بتحليل أسسه وركائزه إذ عرفه ب:"المادة القائمة على تشكيل عالم غير واقعي انطلاقا من نظرية علمية غير واقعية ،أي

غير محققة في الوقت الراهن وبمعنى آخر إذا كانت المخيلة تشكل ما يضاهي نظرية علمية"[xxiii]ولخص مبادئ الفاعلية النفسية لهذا الأدب كما يلي:

*الطابع الإيحائي، فتتميز الفاعلية النفسية للطفل بخاصة، والإنسان عامة بممارسته الإيحائية .

*مستوى الطموح ،إذ يتميز الطفل بنزوعه إلى أن يتطور ويتقدم ،وأن يكون له دور مثل غيره من الراشدين في المجتمع ،وعند هذا النزوع إلى التميز يطمح الطفل إلى البروز والنجاح في مجال من المجالات كالرياضة ،أو الطب أو المسرح أو التعليم وغيرها.

*قابلية الطفل إلى التجدد والاكتشاف .

كل هذه الميزات تقربنا من الثقافة المعلوماتية التي تلازمنا اليوم بسرعة وآنية لا محدودتين

**فما الحل مع الطفل الجزائري ؟الذي ينفر من الكتاب المطبوع ،بسبب غلاء ثمنه ،أو غياب البعد الجمالي في تصميمه ،في نوعية الورق ونوعية الخط ،وحتى في بعض المضامين التي لم تعد تهم الطفل ،ولم تعد تثير اهتمامه كالقص التاريخي أو الثوري أو حتى قصص بعض الحيوانات لأن الوسائط الإعلامية من تلفاز (قنوات فضائية متعددة تخص الأطفال وتروي لهم القصص بالصوت والصورة واللون والإيحاء الدرامي)؟**

توصلت بعض الدراسات أن "المرتكزات التي تعتمد عليها الأمة العربية " تبني أسسها على القيم والمعتقدات والأفكار والقناعات التي تشكل عقليتها، و تؤطّر تصوّراتها ورؤاها، مبلورةً المنهج والمسار الذي يضبط السلوك الاجتماعي، وبمعنى آخر، فإن هذه المرتكزات، تشكّل المكوّنات الثقافية للأمة، أي (الكل المركّب) الذي يتضمّن المعارف والعقيدة والفنون والأخلاق و القوانين والعادات والقدرات والخصال التي يكتسبها الإنسان نتيجة وجوده كعضوٍ في المجتمع... "

ولكن ثبات المرتكزات، وأسباب بقاءِ الموروث الأصيل، وغرس القيم في نفوس أبناء الجيل، لن يُكتب له النجاح والفاعلية، ولن يمنح القدرة على التأثير، إلاّ إذا انتقلت القيم والثوابت من جيل إلى آخر، **بتطوّر مَرِنٍ** ،لا يؤثر في أصالتها ونقائها، ومن غير أن يحدث ما يُعرف بـ (القطع الثقافي) " بين أجيال الأمة. الذي يؤدي إلى قطع التواصل الحضاري ... فالجيل المبتور من جذوره، يأخذ بأي شيءٍ مما يحيط به، فيكون التحوّل إلى روافد ثقافية جارية أو سائدة، حاضرةٍ بأشيائها، وأفكارها، وأدواتها. الأمر الذي يجعل منه جيلاً ممسوخاً يعيش في حالة تفسّخٍ أو انقسام " .

إن الثقافة، هي المحرّك الأول للمجتمع، والمحدّد لوجهته، وبغية تفادي الوقوع في أحضان الغزو الثقافي، فقد تداعى المفكّرون إلى ضرورة تحصين الأمة بالمضادات الحيوية، وهي موجودةٌ متوفرةٌ بين ظهرانينا، وليس من العسير استحضار التراث، واستلهام القيم بصورةٍ مرنةٍ تخضع لروح العصر، وتستجيب لمتطلباته، فتتلقى وتتفاعل، وتأخذ

وتعطي، وتبدع وتخترع، كأحسن ما يكون الإبداع والاختراع.

وتختلف نظرة السابقين عن نظرة مثقفي اليوم، لأن الذين لا يعيشون زمنَ تفجّر المعلومات – وإن كانوا مثقفين – قد يكونون في عزلة عما يجري في دنيا العلم و التقانة، لأنهم لا يعرفون سوى النذر اليسير مما يجري في البيئة المحيطة والعالم من حولهم، ولا يُقَدّرون وُقْعَهُ وآثاره في حياتهم، وحياةِ الناس تقديراً سليماً، فهم " **إما منبهرون بها بشكلٍ ساذجٍ، وإما منصرفون عنها بصورةٍ غير عقلانيةٍ، فالمثقف نجده وسط هذا العصر الطافح بالبحوث والدراسات العلمية، والاكتشافات الكبيرة والتقانات المتطوّرة، وشبكات الحاسوب مشدوهاً ومذهولاً**، "[xxiv]

إن الرجال الذين استمعوا في طفولتهم إلى حكايات الجدّات و أمثولاتهن و حَزّوراتهن، لا يزالون يذكرون تلك الجدّة التي كانت تتعمّد الوقوف في بعض الحكايات عن السرد قبل انتهاء الحكاية، لترى أثار وقْع سردها على الأطفال، ثم ما تلبث تسألهم عن توقّعاتهم، فيما يمكن أن تنتهي به الحكاية، أو يصير إليه الحدث، أو يؤول إليه مصير البطل.. أيّ أنها عند نقطةٍ معينةٍ في السرد، تُبقي الحكاية مفتوحةً حرّةَ الخاتمة، ثم تسمع آراء الأطفال ليعبّر كل واحدٍ منهم عن تصوّره للنهاية، وبذلك يصبح للحكاية عددٌ من الاحتمالات المتوّقعة...

إن هذا الأسلوبَ العفويَ الذي كانت غايتُه الإمتاع وجذبُ الانتباه، ومن ثم تحريضُ عقول الأطفال، هو من بين الأساليب الحديثة جداً، التي طلعت بها أجهزة المعلومات، حين ابتدعت أسلوباً جديداً لتحرير الكتب، وذلك عن طريق تخزين بياناتٍ ومعلوماتٍ منطقيةٍ في العقل الإلكتروني، واستغلالها في إنتاج رواياتٍ مختلفة البنيةِ، مرئيةٍ على الجهاز، أو مطبوعة على الورق .

لقد وضع أدباء الإنترنت في الغرب قصصاً وروايات كثيرة. حسب خطّةٍ تتسلسل فيها الأوامر في لحظاتٍ متتابعةٍ، ثم تركوا للقارئ اختيار بناء القصة وفق القرارات التي يتخذها، وأعطوه في كل فقرة، فرصة انتقاء عدد من الاختيارات المحتملة. ففي قصة السندباد – مثلا – يمكن أن نأخذ النصّ من سيرة ألف ليلة وليلة، ونصوغ منه برنامجاً مكوّناً من مجموعة من الأوامر، تبعاً لكل لحظة يختارها من يريد استعمالها، ويأخذ الرسوم كنموذج معين، فإذا كان السندباد شخصيةً مغامرةً، تغرق به السفينة في عرض المحيط، فيتشبث بقطعةٍ من خشبها... يأتي القارئ ليكمل تركيب القصة، فإما أن يدفعه الموج إلى الشاطئ، وإما أن يأتي طائر الرخّ فيتعلّق به ويطيرُ إلى جزيرةٍ نائية، وإما أن يبرز له حوتٌ فيمتطي ظهره، وإما أن يسخّر الله له سفينةً عابرة تنقذه... وباب الاحتمالات واسعٌ، يتسع المخيّلة التي تتعامل معه، وبذلك يمكن قراءة قصة السندباد نفسها عدّة مراتٍ. من دون قراءة الحكاية نفسها في كل مرة.

إن هذا اللون من القصص المسمّى بالتركيبي، نشرته الأجهزة الحديثة، وتعلّق به الأطفال في أمريكا وبريطانيا، وقد تُرجمت أول رواية من هذا النوع إلى الفرنسية من قبل (**فوليو –جينيور**) تحت عنوان (**ساحر جبل النار**) ثم تألّفت

لمثل هذا العمل في فرنسا لجنةٌ متخصّصةٌ، أنتجت أول رواية مرئية تفاعلية، بعنوان : (**آسكو**) تُختزن قي ذاكرة العقل الإلكتروني، بحيث يمكن للقارئ تصفّحها بوساطة مطراف " **فيديوتيكس** "، أو عقل إلكتروني صغير.

وقد تمكّن المتخصّصون من المزج بين النصّ والصورة التعبيرية، فأظهروا الظلال والملامح الخارجية، كما عملوا على إظهار الاختلاجات النفسية الداخلية[xxv]. ورواية (**آسكو**) التركيبية المرئية " **تبدأ كالقصة البوليسية، وكل شخصيةٍ من شخصياتها، يمكنها أن تؤثّر في الأسلوب الروائي والتصويري للقصة، وبما أن الشاشة لا تسمح أبداً باستعمال جملٍ طويلة، ووصفٍ أطول، فإن الكتابة الروائية فيها تتميّز بالسهولة والمباشرة، ولكن بوساطة اللعب بالرسوم، لأن صفحةً مرئيةً واحدةً يمكن أن تحتوي على العديد من الرسائل التبليغية. وبذلك تكون الكتابة في هذا النوع من القصص هي خليطٌ من الشريط المصوّر والكتابة الكاسية، ولكن من دون نهاياتٍ، أو بالأحرى كل النهايات يمكن تصوّرها بوساطة الخيوط اللامرئية لبرنامج العقل الإلكتروني، فهناك إذن العديدُ من التركيبات الممكنة، وقد زوّد الكُتّابُ الروايةَ بعلبةِ رسائل إلكترونية، لتمكين القرّاء من الاتصال بأبطال الرواية وذلك لإحداث تفاعلٍ بين الآلة والقارئ، ليناقش بناء القصة ومحتواها.** " [xxvi]

إن مصطلح الأدب ارتبط في الآونة الأخيرة بمصطلح الحضارة، ومصطلحُ الحضارة يبتغي الانتشار والتعميم، بحيث يمكن أن يؤثّر على الثقافة الإقليمية التي تتوخّى التأثير والفاعلية أيضاً، ومن ثم النظر إلى عالمية أدبها وثقافتها، والانطلاق من بوتقة الحدود الضيقة إلى فضاءٍ وفضائياتٍ لا تعترف بحدود وحواجز، تختصر المسافات بين بنات الأفكار، وتسعى إلى نشر علومها وفنونها وثقافتها الإنسانية بروحٍ عصريةٍ، لا تقليد فيها ولا تعصّبَ ولا اجترار، كما تسعى لأخذ المعارف والتقنيات، بغية الارتقاء بأفاق التفكير إلى مستوى العصر ومتطلّباته الحضارية .

ولم يقف الأدباء والمثقفون تجاه ما اطلّعوا عليه من معطيات التقانة الحديثة، موقفَ المنبهر دائماً، وإنما عمد بعضهم للاستفادة من هذه التقنية، كما استفاد أصحاب الرواية التركيبية في خطوةٍ رائدةٍ لتحليل نُصوصٍ، وتركيب أخرى، فقد لجأ الدكتور رشاد خليفة – على سبيل المثال – إلى تحليل ألفاظ القرآن الكريم وحروفه، وأثبت نتائجه في الكُتيّب المعروف بعنوان : " **عليها تسعة عشر** " ثم تتالت عمليات البرمجة للفقه والسنة النبوية، وسواها من العلوم والمعارف العربية، وصار في وسع الدارس الرجوعُ إليها بسهولةٍ ويسر، ومع أن هذه البرامج قد وُضعت بمعرفة مؤسسات غربية وأمريكية، وعلى أيدي باحثين عربٍ ومستشرقين، فإنها تؤكّد على حضور الثقافة العربية وعالميتها، وأهميتها لأي مشروعٍ حضاري في المستقبل.

وقد انبرى الشاعر المصري **أحمد فضل شبلول** لمعالجة موضوع الشعر والحاسوب في كتابة : (**الإنترنت وأدباء المستقبل**) [xxvii]محاولاً في إحدى عشرة مقالة ضمنها الكتاب، أن يثبت إمكان تحقيقِ الحاسوب الآلي للمعرفة الحقّ التي يتوق إليها الإنسان في عصرِ المعلوماتية، " **إن المفارقة لكبيرةٌ، ونحن نجد الحواسب الآلية التي عملت**

**على تشغيل أنظمة الصواريخ والأقمار الصناعية، وسوى ذلك من الإنجازات التقنية العالية، ثم نعود إلى فن الشعر، ونربطه بالكمبيوتر، أو أننا نربط الثقافة الإبداعية بالأجهزة الرقمية.** " [xxviii] .

هذا بشكل عام المسار العام الذي أردته كمدخل لفلسفة التربية وازدواجية العلاقة بين التنظير وملامسة الراهن وواقع **التنشئة الثقافية في أدب الطفل الجزائري و هذه الكلمات ما هي إلا مخاوف وقضايا تمس مستقبل فلذات أكبادنا ، وهي في مجملها انشغالات وتساؤلات أراها ضرورية وملحة ولابد أن تطرح وتناقش في جلسات كثيرة ،وتعنى بها فلسفة التربية وعلم نفس الطفل ،وعلم الإجتماع الثقافي وغيرها من التخصصات الإنسانية في دولة عربية إسلامية هي الجزائر .**

**وفي الأخير يمكننا إعطاء بعض المقترحات والحلول المبدئية بأسئلة مفتوحة دائما :**

**1/لمن نكتب ؟ لطفل جزائري** بريء، أو واع ؛أو مهمش في القرى والأرياف وحقوقه الإنسانية غير واضحة المعالم في الممارسة العملية ،في غياب تطبيق قوانين حقوق الطفل لسبب أو لآخر؟

2/ماذا نكتب حكايات عن الثورة،وعن حرب تحرير جزائرية لازلنا نتغنى بها لأن خيالنا متوقف عندها؟؛أم نكتب وعن الأصالة والدين؟، أم مغامرا ت ابن بطوطة والمسعودي وابن النفيس ؟ ماذا يحتاج الطفل في زمن القرية الكونية ؟

3/بأية صيغة وأي أسلوب وأية نمطية استيطيقية يمكنها أن تشد الطفل الجزائري الذي غيب في الدراسات الأكاديمية في مثل هذه المجالات؟.

4/هل يتخلى الطفل عن التقنية وعن قصص السندباد وينشغل بالقط الملون لون الأسى الذي يعانيه،أم يضحك من القط والفأر اللذان انغرسا في مخيلته "توم " و"جيري"؟

أي وسيلة هي الأفضل في عصر العولمة قراءة قصة ما قبل النوم ،التي لا يراها معظم أطفال الدول العربية إلا في المسلسلات، أو قراءة قصة صالحة لكل مكان وكل زمان في قرية كونية صغيرة افتراضية على شاشة الحاسوب كما تحلو له تسميتها.

5/هل يبحث الطفل عن التسلية والمتعة والانبهار أم يبحث عن قاموس الكلمات لفهم المعاني ،فالطفل طفل نفسيا واجتماعيا ومعرفيا ولغويا ،أي طفل يجب أن نخاطب؟من خلال فعل القراءة؟.

6/يجب أن نكتب للطفل بعقلية ومستوى استيعاب واهتمام الطفل وقدراته ؛لا أن نكتب للطفل باهتمام الكبار وتفكيرهم وقدرة استيعابهم لقضاياهم ومحنهم .

7/الابتعاد عن التقليد لما ألفه الأدباء في أوروبا وأمريكا وغيرها من قصص الغرب فاللغة العربية لها مكانتها وسموها وكيف لا،وهي لغة القرآن وما أدرا ما القرآن وهو مصدر الإلهام الأول والتصوير الجمالي والقصصي الأول في العالم.

الخاتمة :

في الأخير أريد العودة إلى نقطة هامة جدا وهي الوسائط الإعلامية الأكثر شعبية في الجزائر كالتلفاز الذي يتواجد في كل بيت عند كل عائلة مهما كان دخلها أو مستواها المعيشي أو ظروفها الاجتماعية ؛ وهنا أقترح خطة بديلة لأدب الطفل الجزائري من خلال المحطات التلفزيونية المحلية إذا ما تضافرت الجهود مع السلطات المعنية ومع جمعيات أولياء التلاميذ والباحثين في مجال الاجتماعيات وفلسفات التربية لخلق فضاء ثقافي جزائري بعيدا عن البرامج التمويهية واللل تربوية والتي لا تمت بصلة لعادات وقيم وثقافات الطفل وحتى الأسر الجزائرية ككل منبهة إلى أن أكثر القنوات التلفزيونية التي لها صدى كبير على نفسية الطفل الجزائري هي قنوات خارجية يجب الحذر منها والتعايش معها بانتباه شديد وهي:

قناة الجزيرة للأطفال . *

- موقع قناة أم بي سي3. *MBC

قناة سبيس تون الموجهة للمجتمعات العربية *

*قناة طيور الجنة.

كما أن الدراسات الدولية المعاصرة في بعض بلاد المشرق وفي البلاد الغربية أحصت العديد من المواقع الالكترونية التي أسرت أطفال الجزائر وأطفال أخر وأدخلتهم في عالم من الاغتراب والتوحد فلننتبه جميعا إلى هذا الخطر ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

خطر القضاء على الطفولة والقضاء على تذوق الجمال، والخيال، والإبداع.

**الهوامش حسب تسلسل عناصر البحث**

[i] - هادي نعمان الهيتي **:ثقافة الأطفال** ،عالم المعرفة الكويت ،1988،ص10

[ii] - هادي نعمان الهيتي ،المرجع نفسه ،ص157.

[iii] -أحمد زلط :**معجم الطفولة ،مفاهيم لغوية ومصطلحات** ،(د،ن) ،ط1 ،القاهرة 2000،ص64.

[iv] محمد قرانيا، **قصائد الأطفال في سورية ،دراسة تطبيقية**،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ، 2003،ص13.-

[v] -المرجع نفسه ص09.

[vi] -المرجع نفسه ،ص12.

[vii] -سمرروحي الفيصل ،**مشكلات قصص الأطفال في سورية** ،اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،سوريا ،1981 ،ص98.

[viii] - أحمد عبد الله أجمد وفهيم مصطفى محمد, **الطفل ومشكلات القراءة**,الدار المصرية اللبنانية,القاهرة, ط1, 1988م ص29

[ix] - ينظر المرجع نفسه, ص30

- حسن شحاتة, **قراءات الأطفال**, الدار المصرية اللبنانية, القاهرة ,ط04, 2000م, ص09[x]

- العيد جلولي ،**قراءة الأدب التفاعلي نموذجا في–دراسة في ضوء الوسائط الحديث**ة ،مجلة مقاليد [xi]

12- فاطمة البركي ، **مدخل إلى الأدب التفاعلي** ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، لبنان ، ط1 ، 2006 ، ص 50

- محمد خليفة برغات **:الأسس النفسية لتقدير الجمال** ،صحيفة التربية ،يناير 1957،ص ص70،79.[xiii]

-أحمد نجيب **:أدب الأطفال(علم وفن)**،دار الفكر العربي ،القاهرة ، ط1991،1 ،ص59[xiv]

-حنان عبد الحميد العناني ،**أدب الأطفال** ، دار الفكر للنشر والتوزيع ،عمان ط3، ،1996،ص64.[xv]

- **قصائد الأطفال في سورية ،دراسة تطبيقية**،مرجع سابق،ص.83[xvi]

- بيان الصفدي. **ديوان الأغاني**. مرجع سابق ص 72[xvii]

17-انظر أحمد علي عنان ،**أدب الأطفال والقيم التربوية** ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط2،1999 نقلا عن مقال دور مسرح العرائس في تنمية مدركات الطفل[xviii]

-اسماعيل عبد الفتاح **:أدب الأطفال في العالم المعاصر** ،ص60.[xix]

- العيد جلولي :**النص الأدبي للأطفال في الجزائر** ،مطبعة دار هومة الجزائر ،2003،ص60.[xx]

-عبد الملك مرتاض :**فنون النثر الأدبي في الجزائر** ،ديوان المطبوعات الجامعية ،1983،ص164.[xxi]

فرانسيس هوار:**تكوين الثقافة الإبداعية**،تر محمد سمير عطائي ،مكتبة عبيكان السعودية ،2003،ص1

22-طبعت أبحاث المؤتمر الثاني عشر في الكتاب التالي :"**أدب الطفل العربي**" ،منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب ،عمان ،ط1 ،ص50.[xxiii]

24- د. تيسير صبحي. **التفاعل الثقافي في القرى الإلكترونية**. مجلة الفافلة. أيلول 1996 .

قصائد الأطفال في سورية ،مرجع سابق،ص105[xxv]-

26 عبد الله زكريا الأنصاري. يراجع بهذا الصدد البحث : **الشعر وعصر الكمبيوتر**. كتاب العربي الخاص بالطفل والمستقبل، أكتوبر 1986. الكويت، ص 105.

7 2- نشرته دار المعراج. الرياض. وقد استفدنا في هذه الإطلالة على الكتاب المذكور من العرض الذي كتبه الدكتور خليل أبو دياب. في مجلة الفافلة. أيلول 1997 .

28: بيوض أحمد. **الرواية والمعلوماتية**. مجلة الفيصل. العدد 216.. الرياض، ص 60 .